المواجهة الشاملة

د. محيي الدين صابر

(القى الدكتور محيى الدين صابر المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بحثا فى المؤتمر القومى للتخطيط للحملة الشاملة لمحو الامية بالسودان فى الفترة 8 — 11 يناير 1981 نقدم خلاصته :)

لعل الامية من بين مشكلات المجتمعات النامية المعاصرة ، ان تكون اكبر مشكلاتها جميعا واخطرها ، لانها تمس الانسان ، صانع الحياة الاجتماعيه والتقدم فى ملكات الابداع ، وفى قدرات الانجاز ، وفى وسائل السعى .

ولهذه المشكلة مثل كل مشكلة ، جذور ، ولها اسباب ، ولعل ذلك كله يكمن اساسا فى التغيير الاجتماعى الذى طرأ على هذه المجتمعات بتغير نمط حياتها التقليدى ، نتيجة للامتداد الاوربى ، عن طريق الغزو الاستعمارى اولا ثم بسيطرة الحضارة التكنولوجية ثانيا ، وهى حضارة كونية ، حاصرت العالم كله ، فلا يكاد يفلت من سلطانها مفلت . لقد شمل ذلك التغيير الابنية السياسية والادارية والاقتصادية والمالية ، والتكنولوجية ، والاجتماعية ، وفى مقدمتها الانظمة التعليمية اهدافا ومضمونا ووسائل .. فاصبح التعليم حقا واجبا على المستوى السياسى والاجتماعى ، ووسيلة للحياة على المستوى العلمى .

وقد اصبح التعليم يستنزف معظم موازنات الدول النامية ، ومع ذلك فما يزال الاستيعاب الكامل لمستحقى التعليم من الاطفال ، بعيدا عن تحقيقه ، مما يزداد معه عدد الاميين كل عام ، ذلك كله الى جانب ان الادراك العميق لطبيعة الامية ظل غير واضح ، فاعتبرت الامية مشكلة تعليمية ثانوية ، وبدأت مكافحتها فى نشاط هامشى ملحق بوزارات التربية او بوزارات اخرى ، بطاقات محدودة ، وامكانات ضيقة ، مع احجام مزمن من جمهور الاميين فشلت الجهود فى التغلب عليه عن طريق الحوافز والزواجر ، وذلك لتعدد اسبابها وتنوعها وواقعيتها .

وللامية الى جانب خطرها الوطنى خطر عالمى ، فهى مشكلة متصلة بقضايا العالم انتاجيا واجتماعيا وسياسيا ، ولذلك نشطت المنظمات الدولية ، منذ اكثر من ثلاثين عاما غداة انتهاء الحرب العالمية الثانية الى التصدى لها ، وكان دور اليونسكو وما يزال بارزا فى هذا المجال ، وقد اشرفت على وضع خطط ومناهج مختلفة ، من التربية الاساسية الى تنمية المجتمع ، الى التعليم الوظيفى ، والتربية المستمرة ، وذلك من خلال اللقاءات الدولية والمؤتمرات والدراسات والبحوث ، وانفقت الامم المتحدة ومنظماتها المليارات من الدولارات فى مشروعات تجريبية فى عقود التنمية الدولية ، ولكن كل ذلك لم ينجح ،

بالقدر المطلوب فى القضاء على الامية التى ما تزال تتزايد ، وان كان هناك نجاح فهو فى تعميق الوعى بالمشكلة وبخطورتها ، وبضرورة التصدى لها .

وعلى المستوى العربى نشطت الجامعة العربية، فانشأت جهازا اقليميا متخصصا انضم الى اجهزة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بعد انشائها تحت اسم الجهاز العربى لمحو الامية وتعليم الكبار ، وفى اطار هذا الجهاز ، تم وضع تصور عربى هو استراتيجية المواجهة الشاملة للامية ، وقد استنبطت الصيغة العربية ، من التجارب العالمية والوطنية ، وعلى ضوء قراءة الواقع العربى قراءة حضارية ، وعلى اساس قومى ، يقوم على التزاوج بين راس المال العربى النقدى ، وراس المال العربى البشرى، فى نطاق فكرة « قومية المعرفة » بحيث يجىء العون المالى العربى النقدى ، مكملا للجهد الوطنى العربى ، لتحقيق الاستيعاب الالزامى للاطفال فى سن المدرسة فى مؤسسات التعليم الاساسى ، ويتم فى الوقت نفسه ، تعليم الاميين فى اطار المواجهة الشاملة التى تعنى فى الوقت نفسه بتطوير المجتمعات العربية الريفية ، وتجديد علاقاتها وتصعيد مهاراتها ، على اعتبار أن اساس الامية ليس هو الجهل برموز القراءة والكتابة ، وانما هو التخلف الذى يتمثل فى المجتمع نفسه ، فالأمية اميتان امية حضارية هى امية المجتمع وهى الامية الكبرى ، وامية ابجدية وهى امية الافراد وهى الامية الصغرى ، وهما مرتبطتان ومتلازمتان . ويتضمن تصور استراتيجية العربية ، اعادة النظر فى البناء التعليمى النظامى ، وفتح القنوات بينه وبين التعليم غير المدرسى ، والاعتراف الاجتماعى بالتعليم غير الرسمى ، وبمؤهلاته فى العمل العام ، بالتشريع ، ثم تنظيم هذا التعليم وفتح مسارات متنوعة له ، ينتهى بالجامعات المفتوحة وبالدراسات المتراوحة بين العمل والتعليم .

كل ذلك مع التزام بمنهج المواجهة الشاملة فى محو الامية بوجهيها الابجدى والحضارى ، فى عملية تعبئة تنظيمية واجتماعية للقوى فى المجتمع كله لتجديد البنية والمهارات والعلاقات ، على اسس من القيم الايجابية التى تعمل على تماسك المجتمع وتقدمه.